



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسة الأولية / المرحلة الثالثة

مادة علم النفس المعرفي / المرحلة الثالثة / الدراسة الأولية

محاضرة الكترونية بعنوان مقدمة في علم النفس المعرفي

اسم التدريسي: أ.م.د. اسلم حسام طه

العام الدراسي (٢٠٢٥ – ٢٠٢٦)

الفصل الأول: علم النفس المعرفي

Cognitive Psychology

الوظائف النفسية تدل عليها سلوكياتنا الموروثة والمكتسبة، فالسلوك الموروث وظيفة مثبتة في التكوين الوراثي لكل كائن حي؛ فمثلاً المولود الجديد يعرف كيف يرضع دون أن نعلمه ذلك، كما يغلق يده عندما نضع شيئاً في بطن يده، ومجموعة من الأفعال المنعكسة الوراثية تعرف بالغرائز مثل غريزة الأكل والشرب، والتناسل... هذه الأمثلة تعرف السلوك عموماً، عند الحيوان الغريزة قوية جداً. أما عند الإنسان وبفضل العقل يستطيع التحكم فيها وحتى معارضتها، وله القدرة على إكتساب أفعال منعكسة غير مثبتة في مكوناته الوراثية، أفعال إكتسبها وأصبحت لا تختلف كثيراً عن الأفعال الموروثة.

التعريف العام لعلم النفس المعرفي (Cognitive Psychology):

هو علم يدرس تكوين وتناول المعلومات لدى الإنسان، المعرفة Cognition: هي موضوع اهتمام هذا الفرع المتعلقة بأنواع المعلومات المختلفة التي نكتسبها في مواقف الحياة التي نتعرض لها، كما تتعلق بأنواع العمليات المرتبطة بطريقة اكتسابها والاحتفاظ بها في الذاكرة وإعادة استخدامها.

تطور مصطلح علم النفس المعرفي:

مصطلح علم النفس المعرفي ظهر في دراسات بلاك ورامسي Black, Ramsey سنة ١٩٥١ في كتاب "الإدراك، مدخل إلى الشخصية". وفي عام ١٩٥٣ تعرض غاردنر Gardner إلى تصنيف الأساليب المعرفية، التي تطورت فيما بعد.

كما أشار كل من كيجان Kegan، موس Moss، سيجل Sigel سنة ١٩٦٣ إلى أن الأسلوب المعرفي هو أسلوب الأداء الثابت نسبياً، الذي يفضل الفرد في تنظيم مدركاته وتصنيف مفاهيم البيئة الخارجية.

بواسطة دراسة معرفية يتطلع علماء النفس المعرفي إلى فهم الممارسات اليومية لمختلف الأنشطة بصفة مستمرة حيث تشترك فيها العديد من العمليات المعرفية مثل: (الإنباه، الإدراك، التفكير، التذكر، حل المشكلات، التعلم والعمليات الارتقائية).

ويرى هنت Hunt ١٩٨٩ أن تعريف علم النفس المعرفي: هو الدراسة العلمية التي تحاول فهم طبيعة الذكاء الإنساني والكيفية التي يفكر بها الإنسان.

أما سولسو Solso ١٩٩١ فإنه يرى أن موضوع علم النفس المعرفي هو الدراسة العلمية للكيفية التي نكتسب بها معلوماتنا عن العالم والكيفية التي نتمثل بها هذه المعلومات ونحولها إلى علم ومعرفة، ولكيفية الاحتفاظ بها واستخدامها وتوظيفها في إثارة انتباهنا وسلوكنا.

أما من حيث التصنيفات والتقسيمات الحديثة لمختلف الميادين العلمية وتفرعاتها وفق الضوابط والمقاييس العلمية الأكاديمية، فإن السلوكية مدرسة فيها اتجاهات عديدة لكنها متكاملة ولها الأسبقية في الظهور والتطور؛ أما علم

المعرفية أو الإدراكية فهو من العلوم الحديثة النشأة، لكن هناك تراكم لبحوث علمية متعددة في هذا المجال منذ بداية الخمسينات وقبل ذلك أيضاً.

كما لا يختلف علماء النفس المعرفي في الهدف من وراء كل هذه الجهود التي يبذلونها في الرغبة في استخدام هذا الفهم من أجل تحسين عملية التربية، عمليات التذكر، أساليب التفكير، معالجة المشكلات التي نتعرض لها في هذه الحياة، عملية التوجيه المدرسي وطرق الإرشاد النفسي، العلاج النفسي المعرفي السلوكي.

مدخل إلى علم النفس المعرفي:

معنى معرفي أو معرفة Cognition هي جميع العمليات النفسية الداخلية التي بواسطتها يتحول المدخل الحسي Sensory Input فيطور ويختصر ويختزن لدى الفرد إلى أن يستدعى لاستخدامه في المواقف المختلفة حتى في حالة إجراء هذه العمليات في غياب المثيرات المرتبطة بها ومن العمليات النفسية التي تتعرض لها المدخلات الحسية، الإحساس والإدراك والتخيل والتذكر والاستدعاء والتفكير وغيرها من العمليات النفسية الأخرى التي تشير إلى المراحل التي يمر بها الأداء العقلي أو تشير إلى المستويات العقلية لهذا الأداء.

اهتمامات علم النفس المعرفي:

موضوع علم النفس المعرفي هو الدراسة العلمية للكيفية التي نكتسب بها معلوماتنا عن العالم، ولكيفية التي تتمثل بها هذه المعلومات ونحولها إلى علم ومعرفة، ولكيفية تخزينها، ولكيفية استخدام هذه المعلومات وتوظيفها في إثارة انتباهنا وسلوكنا، ويحيط علم النفس المعرفي بكل العمليات النفسية بدءاً بالإحساس والإدراك والعمل العصبي والتعرف على النمط والانتباه والتعلم والتذكر وتكوين المفاهيم وصياغتها والتفكير والتصور الذهني والتخيل واللغة والذكاء والانفعالات والعمليات الارتقائية، ويناول بالدراسة مختلف مجالات السلوك.

فعلم النفس المعرفي يهتم بالمعرفة أي المعلومات التي يكتسبها الإنسان في المواقف الحياتية المختلفة وكيفية تجهيز وتناول وتكوين هذه المعلومات ويهتم أيضاً بالعمليات التي تساهم في اكتساب المعلومات والتي يطلق عليها العمليات المعرفية مثل: الانتباه، التذكر، التفكير، وضمن اهتمامات هذا الفرع: كيفية انتقال المعلومات من عملية إلى عملية أخرى أو من مرحلة إلى أخرى.

الهدف النهائي من علم النفس المعرفي:

موضوع علم النفس المعرفي هو المعرفة أي المعلومات، القيم، الحقائق التي يكتسبها الفرد في نواحي مختلفة وتعني المعلومات: أي معلومات وليس شرطاً أن تكون معلومات منهجية، مثل تعلم معلومة جديدة من قبل طفل عمره سنتين.

الهدف النهائي لهذا العلم والتدخل المعرفي هو زيادة فهمنا للعمليات المعرفية واستخدامها لتحسين الأداء التربوي وتحسين أساليب التفكير ومعالجة المشكلات لأن المعرفة تكتسب والهدف النهائي في هذا العلم محاولة الاستفادة من معلوماتنا لأقصى درجة ممكنة.

وتركز من ناحية تطور وجهة نظر سلوكية، على المدخلات والمخرجات، فلو ركز الفرد على المدخلات والنتيجة النهائية فذلك يتفق مع الاتجاه السلوكي لاكتساب المعلومات، مثل الطبيب يصرف علاج ويركز على نتيجة العلاج، أما الصيدلاني فإنه يركز على تفاعلات كيميائية من دخول العقار للجسم.

هناك اتجاهان لتفسير المعلومات:

اتجاه سلوكي: مثير ← استجابة.

اتجاه معرفي: مثير ← استجابة + العمليات التوسيطية.

أي ما بين المثير والاستجابة من معلومات وإجراءات ويركز على ما يحدث من تفاعلات التي تحدث في النهاية والوظيفة بين المدخلات والسلوك الصادر عن الفرد نتيجة المخرجات.

الاتجاه السلوكي:

يهتم بالكيفية التي يتم بها تناول ومعالجة المعلومات المرتبطة بالمدخلات حتى خروجها في شكلها النهائي.

مثال: الطبيب الذي يصف عقار معين ويركز على النتيجة أي على سلوك المريض دون الاهتمام بما يحدث من تأثيرات أو الكيفية التي يؤثر بها ذلك العقار منذ تناوله وحتى تأثيره في النهاية وكذلك الحال المدرس الذي يركز في طريقة تعبير تدريسه ويهتم بنتيجة هذه الطريقة على تحصيل طلابه دون الاهتمام بما يحدث من تأثيرات ومعالجات بين بداية الشرح لهذه الطريقة والوصول إلى النتيجة النهائية.

الاتجاه المعرفي:

يرى علماء هذا الاتجاه أنه من الصعب دراسة وبحث الظواهر النفسية والمعرفية دون أن نضع في اعتبارنا الاهتمام بالكيفية التي يتم بها تكوين واهتمام وتجهيز المعلومات أي بالإجراءات والمعالجات التي تحدث بين المدخلات والمخرجات.

مثال: الصيدلاني يركز على تفاعلات يحدثها العقار الذي يصف له المريض لكي يصل إلى نتيجة مرجوة في النهاية.

المدرس: يهتم بما يحدثه طريقة الشرح الجديدة لدى طلابه من زيادة انتباه، تشتت انتباه، زيادة فرصة النقاشات بجانب اهتمامه بالنتيجة النهائية لتلك الطريقة.

منهجية البحث في علم النفس المعرفي:

الأسس والافتراضات الأساسية التي يستند عليها البحث في علم النفس المعرفي وما يجب أن يعيه الباحث في علم النفس المعرفي ويسلم به عندما يبحث عن أحد موضوعات علم النفس المعرفي:

يختلف علم النفس المعرفي عن بقية العلوم الأخرى بأنه غير محسوس، والافتراضات الأساسية هي:

الافتراض الأول: منهج الاستبطان

ويتعلق بمنهج الاستبطان الذي يعتمد على النظر بعمق داخل أفكار الفرد ويعتبر هذا المنهج البحثي في المناهج محدودة الاستخدام نظراً لصعوبة استبطان الكثير من المعلومات، كما أنه لا يمكن ملاحظة ما يستبطنه الأفراد

بشكل مباشر ولكننا نستدل عليه بما يظهره من سلوك وبما يقرره، الأمر الذي يقود إلى صعوبة استخدام المنهج، فالفرد يصعب عليه أداء السلوك وملاحظته في آن واحد وإذا لاحظ السلوك قد يصعب عليه التعبير عنه بشكل جيد ونظراً لتلك الصعوبات والمشكلات يوصي الكثير من العلماء عند دراسة علم النفس المعرفي -إذا لُجأ إليه- يجب أن يكون استخدامه في نطاق محدود وتحت شروط معينة.

إن أقدم منهج هو منهج الاستبطان وهو إخبار الفرد بما يحدث داخله مثال: إخبار الفرد بما يشعر به من سعادة أو حزن وقد يكون ذلك فيما يتعلق بالجوانب البسيطة التي يستطيع الأخبار عنها.

لكن في حالة.. حل المسألة والتركيز في حل المسألة كيف بدأت مثل بدأت بالمعطيات وكيف فكرت فيها.. إذا كلفنا الفرد بأن يسلك السلوك العقلي ويلاحظه في نفس الوقت فإنه لا يجيد التركيز على الإخبار بما يحدث له وعلى أن يركز في حل المسألة في نفس الوقت.

إن أوجه الصعوبات في استخدام منهج الاستبطان صعوبة أن يؤدي الفرد السلوك ويلاحظه في نفس الوقت:

• قد يلاحظ الفرد سلوكه لكن لا يستطيع أن يعبر عنه شفاهياً، وقد يعجز البعض الإخبار الجيد فيما يلاحظه من الداخل.

• إذا أردنا التأكد من صدق ما يخبر به الفرد فإنه يصعب التأكيد على صدق ذلك ونظراً لهذه الصعوبات يوصي الباحثون الجدد والأوائل بعدم استخدام هذا المنهج والبحث عن مناهج أخرى وإذا لُجأ لها يكون استخدامه في أضيق الحدود وفق شروط معينة.

الافتراض الثاني: الصدق البيئي

الصدق البيئي للقواعد والحقائق والنظريات المتعلقة بالملاحظة، بمعنى آخر يجب على الباحث في مجال علم النفس المعرفي أن يتأكد من الصدق الواقعي أو النسبي للنتائج والحقائق التي يخلص إليها من أبحاثه قبل تعميمها، ويستند هذا الافتراض على الباحث الذي يقوم بإعداد الإجراءات ويختار العينة ليكون بحث موضوعي وليس في كل الأحوال تكون النتائج التي يصل إليها مستمدة من الواقع، وهذا يتطلب من الباحث دراسة النتائج ومقارنتها مع ما يحدث في الواقع لدى عينات أخرى من البحث.

الافتراض الثالث: المتغيرات الفسيولوجية

ويتعلق بإمكانية دراسة العمليات المعرفية بمعزل عن المتغيرات الفسيولوجية Physiology للإنسان، ضمن المسلم به أن النشاط الإنساني كله متكامل إلا أنه لضرورة البحث العلمي تتطلب عزل بعض الحقائق لدراستها في الوقت الذي يتم فيه تثبيت أو عزل ظواهر أخرى قد تتداخل مع التجربة البحثية، والمطلوب من الباحث في مجال علم النفس المعرفي أن يراعي عزل وتثبيت النشاط الفسيولوجي الداخلي للمخ والجهاز العصبي نظراً لتأثيرها على العمليات العقلية وإن كان عزل هذه المتغيرات صعب أو مستحيل إلا أنه يتوجب عليه عزلها وتثبيت أثرها، حيث أن النشاط العقلي تعد عمليات متداخلة ولا تعمل بمعزل عن النشاط الفسيولوجي الداخلي والخارجي ويجب انتقاء الأفراد لديهم مستوى مشترك من النشاط الفسيولوجي.

تطور البحث في علم النفس المعرفي:

علم النفس المعرفي ليس له إلا تاريخ قصير- كعلم مستقل موضوعه ومنهجه وأدواته- إلا أن كم المعرفة التي تراكمت لهذا الفرع من خلال مجموعة من العلماء متعددي التخصصات، قد أحاطت بكل جوانب المعرفة الإنسانية بوجه عام، وساعد على ذلك، بشكل أساسي، إلى جانب عوامل أخرى، الاكتشافات الجديدة والمهمة في مجال علوم المخ والمعرفة العصبية.

وقد أدرجت المصادر العلمية في علم النفس منذ عام ١٩٥٧ وأفردت له فصولاً بكاملها تحت عناوين جادة منها على سبيل المثال (النظريات المعرفية - الأساليب المعرفية - الارتقاء المعرفي - الوظائف المعرفية) وظهرت هذه الفصول في إطار فروع شديدة التباين من علم النفس كعلم النفس الاجتماعي وديناميات الجماعات الصغيرة وآفاق جديدة في علم النفس وأبنية وتكوينات الشخصية والتعلم والتذكر والذكاء الإنساني وعلم النفس الارتقائي وأخيراً علم النفس العيادي.

ورغم توافر أدلة على أن الإنسان المنحصر قد اهتم بموضوع المعرفة وطبيعتها منذ ما يزيد عن ألفي عام، فإن هذه المعرفة لم تخضع للدراسة العلمية في علم النفس إلا منذ نيف وثلاثين عاماً فحسب، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن كل استخدامات ومدلولات مصطلح المعرفة لم تلتق بعد في بوتقة تكون صورة واحدة متآزرة ومتجانسة.

وكل ما هنالك أن المعاني المختلفة لهذا المصطلح قد تم تكريسها الآن للوقوف على الأنشطة العقلية التي تقوم بالتفكير وتكوين المفاهيم وحل المشكلات، وربما أضيف إلى ذلك حديثاً الوقوف على الأنشطة العقلية وحالات العقل الداخلية التي تقوم بالتمثيل والاستيعاب والتركيز والتعلم والفهم والتذكر كعمليات أساسية للذكاء الإنساني وللتفكير وحل المشكلات، رغم ذلك فإنه يمكن اعتبار المعرفة مجموعة متباينة من الاستعدادات والقدرات العقلية مثل دراسة الفهم والإدراك والتخيل والتذكر والحكم والتقدير والاستدلال والتفكير.

ويعتبر الناتج المعرفي دالة نهائية للاكتساب وتحصيل وتكوين المفاهيم والتكوينات الذهنية، ويمثل في الوقت نفسه الجانب العقلي في الشخصية الإنسانية، في مقابل الجوانب الوجدانية كالعزيمة والرضا والإرادة والنزوع، وقد أشار هنت إلى تعريف علم النفس المعرفي: قد يضيق ليصبح (الدراسة العلمية التي تحاول فهم طبيعة الذكاء الإنساني والكيفية التي يفكر بها الإنسان)، وقد يتسع ليعني الدراسة العلمية التي تحاول الجمع بين النظرية التي نشأت وتطورت من خلال دراسات أجريت في إطار علم النفس العام وعلم النفس اللغوي والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم الحاسب وهندسة الاتصالات وعلوم الأعصاب.

دراسات وأبحاث ابنجهاوس Ebbinghaus في مجال كيفية حدوث العمليات المعرفية لتفسير السلوك الإنساني لها دور في تأسيس علم النفس المعرفي كفرع من فروع علم النفس فيما بعد، إضافة إلى أعمال جان بياجيه J. Piaget حول النمو المعرفي لدى الطفل، وكان الدور الأساسي لتطور هذا العلم، للنظريات المعلوماتية فون نيومان، شانون، ثم كان دور السيبرنطيقا الرياضية أو علم التحكم والسيطرة لوينر نوربرت بمثابة محرك الإقلاع وظهور علم المعرفة على ما هو عليه الآن وهو يوظف في العديد من التخصصات العلمية أو في تفاعلاتها على الأقل.